الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

**وزارة التعليم العالي و البحث العلمي**

**جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة–**

**كلية العلوم أدب عربي ولغات**

**قسم الأدب العربي**

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي ولغات

**الموسومة بـــ :**

# القيمة الاجتماعية في شعر الصّعاليك الشنفرى أنموذجا

**من إعداد الطلبة:**

بومدين أسامة

باهرة رشيد

**تحت إشراف الأستاذ:**

حمداد بن عبد الله

**السنة الجامعية : 2018م- 2019م**

باسم اللهِ الرّحمانِ الرحيم

والصّلاة والسّلام على أشرف

المرسلين

# إهـــــداء

إلى والدتي ... إلى من حملتني كرهاً ... ووضعتني كرهاً ... إلى من أوصى بها حبيبنا محمد صلّى الله عليه وسلّم

إلى والدي الذي أطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجازيه كل خير

على ما قدّمه لي أطال الله في عمره

إلى أسرتي صغيرها وكبيرها ... و إلى أصدقائي وإخوتي الذين لم تلدهم لي أمّي

# إهــداء

إلى من علّمتني وعانت الصّعاب لأجلي و أوصلتني إلى ما أنا فيه

وعندما تكسوني الهموم أصبح في بحر حنانها ليُخفّف من آلامي...

... أمّي الغالية...

إلى من علّمتني الصّبر و كانت سنداً لي في مواجهة الصّعاب...

... أبي الغالي...

إلى من عرقت جبينُه في سبيلي...

إلى كل أصدقائي وكل من مدّ يد العون لي من قريبٍ أو بعيد

لانجاز هذا العمل المتواضع.

# شكر وعرفان

نشكر الله عزّ وجل الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل وعلى

توفيقه لنا حتى هذه النّقطة .

نتقدّم بالشكر إلى كل الأساتذة الذين

علّمونا حرفا و لقّنونا درسا من الابتدائية إلى التّخرج، كذلك نتقدّم

بجزيل الشكر إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل

من بعيد أو قريب.

ونشكر شكر خاص للأستاذ حمداد بن عبد الله الذي

لم يبخل علينا بشيء في مشوار إعدادنا لهذا العمل.

عاش العرب قبل ظهور الإسلام في مساحة محدودة، مترامية الأطراف بين شبه الجزيرة العربية، حتّى بلاد الشّام شمالاً واليمن جنوباً، و بالنّظر إلى هذه المناطق، فإنّه من البديهيّ معرفة أنّ القبيلة هي أساس حياتهم، وقد شاع بين هذه القبائل العديد من الآفات غير الأخلاقيّة التي حاربها الإسلام فيما بعد، كما شاعت العديد من المُثل العليا، والأخلاق الفاضلة كالكرم والمروءة والتعفّف وغيرها من الأخلاق المحمودة، كما عُرفوا بفصاحة اللّسان وبأدبٍ بليغٍ، كان مُعظمه عبارة عن شعرٍ ليس كمثله شيء، وهذا الأخير لم يصدر من كبار القوم و شرفاءها ، وإنّما صدر أيضا من بعض عبيدها، وحتى من بعض الصّعاليك الّذين كانوا خارج نطاق القبيل.

ومن هنا كان موضوع بحثنا الموسوم بـ" القيمة الاجتماعية في شعر الصّعاليك".

وللكشف عن القيم التي برزت في شعر الصعاليك في الفترة الجاهليّة، كان لزاماً علينا أن ندرس حياة الصعلوك الذي عايش قساوة تلك الفترة وجحيم طبيعتها في شبه الجزيرة العربية.

أمّا عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو الأمر اللّافت للانتباه، إذ إنّ ورغم كل الظّروف و المصاعب الّتي واجهت الصّعلوك في الجبال و الغابات، فقد حافظ على مجموعة القيم الاجتماعية الّتي فرضت عليه البيئة التّخلّي عنها من أجل العيش، بالإضافة إلى أهميّة موضوع القيم خصوصا في العصر الجاهليّ.

ولاستظهار كل هذا تطلّب الأمر هيكلة بحثنا بخطة منهجيّة مقسمة إلى مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: المعنون بـ:" الصّعلكة و أسباب ظهورها"، بحيث عالجنا في هذا الفصل مفهوم الصّعلكة بشكل عام، وأهم الأسباب الّتي أدت إلى ظهورها، بالإضافة إلى ذكر أسماء بعض الصّعاليك البارزين في العصر الجاهلي، وذكر أهمّ أخبارهم.

الفصل الثاني: المعنون بـــ:" القيم البارزة في شعر الصّعاليك"، والّذي تناولنا من خلاله الحياة الاجتماعية للصعلوك والشّعر الذي نُظم في ظلّ تلك الحياة، كما أتينا على ذكر القيم الّتي لوحظت في الصّعلوك في حياته وتعاملاته بشكل عام، وفي شعره بشكل خاص.

أمّا الفصل الثالث والأخير: الموسوم بـــ:" لاميّة العرب "، والذي كان عبارة عن جانب تطبيقي تناولنا من خلاله حياة الصّعلوك الشّنفرى الأزدي، وعرضنا قصيدته " لاميّة العرب " كنموذج، وأتينا على شرحها وتحليل ما جاء في أبياتها.

وفي الأخير عرضنا خاتمةً شاملةً لما جاء في طيّات بحثنا والّتي كانت عبارة عن أهم النّتائج المستخلصة من البحث.

وكأيّ بحث علمي فقد واجهتنا عدّة صعوبات كان أهمّها قلّة المصادر الورقيّة، مع صعوبة بعض المراجع الإلكترونيّة مع محدوديّتها، ومن أهمّ المصادر الّتي اعتمدنا عليها في عملنا هذا كان كتاب " الشّعراء الصّعاليك " للدكتور يوسف خليف، الّذي اعتمدت من خلاله على قصائد الصّعاليك النّادرة، وكذلك كتاب " الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني الذي أتى على ذكر أخبار بعض الصّعاليك وقصصهم، بالإضافة إلى مجموعة أشعارهم، كما كان كتاب محمود حسن أبو ناجي معينا لنا، و الذي كان معنوناً بـــ:" الشّنفرى شاعر الصّحراء الأبيّ "، والذي اعتمدنا عليه بشكل كبير في الجانب التّطبيقيّ.

وأخيـــراً نتمنّى أن نكون قد قدّمنا في البحث ما يُفيد طلاّب الأدب و أوفيناه ما يستحقّ من عناية و اهتمام.

**" وما توفيقنا إلاّ من عند اللّــه "**

## 1 ـ تعريف الصَّعْلَكَة:

### 1ـ 1 ـ التعريف اللغوي :

انتشرت ظاهرة الصّعلكة في العصر الجاهلي لعدة عوامل كثيرة، تعددت الأسباب والظروف، وقبل معالجة هذه الظاهرة سنتطرق إلى هذا المفهوم من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي.

جاء في لسان العرب"الصُعلوك" في اللغة الفقير، وصعاليك العرب ذؤبانها والتصعلك هو الفقير[1].

***وفي تعريف لغوي أخر***: الصعلوك: الفقير وصعاليك العرب ذؤبانها، وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك، لأنّه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم ممّا يغنمه والتصعلك ، قال الشاعر:

غَنَيْنَا زَمَانَنَا بالتصَعْلك وَالفنَ فَكلاً سُقنَاهُ بكَأْسَيْهمَا الدّهْرَ.

ويقال تصعلكت الإبل إذ طرحت وبارها[2].
وممّا سبق من تعريف للصعلكة في المفهوم اللّغوي في لسان العرب تبين أنّ الصّعلكة تدل على الضمور والانجاء وهو يتصعلك أي يفتقر ويتجرّد من ماله ومتاعه حتى يبدوا هزيلا بين الأغنياء .

### 1 ــ 2 ــ التعريف الاصطلاحي للصعلكة :

الصعلكة ليست طارئة على الحياة الإجتماعية ، و كأنما ولدت بشكل طبيعي لتعبر عن التناقض الكامن في المجتمع العربي و تنبئ عن تردي الواقع ، اجتماعيا ، اقتصاديا و سياسيا ، إذ انقسم المجتمع إلى طبقات اجتماعية جديرة بالدرس و التأمل .

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، دار هادر للنشر و الطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، ج4 ، ص 243 .
[2] - الجوهري ، تاج اللغة و صحاح العربية ، تح : عبد الغفور عطار ، دار العلوم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1956 ، ج4 ، ص 159 .

أخذت كلمة الصعلكة في الاصطلاح الأدبي منحنى آخر يتعارض مع أصلها اللغوي و كثر ترددها في أخبار فئة من الشعراء الجاهليين ، عرفوا بتمردهم على نظام القبيلة و اعتدائهم المتكرر على القوافل و القبائل ، و في ذلك يقول عروة بن الورد يمدح الصعلوك المغامر :

و لكن صعلوكا صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

مطلا على أعدائه يجزرونه بساحاتهم جزر المنير المشهر[1] .

[1] - ديوان عروة ، دار صادر ، بيروت ، 1384ه – 1964 م ، ص 37 .

**2 ـ التعريف الاصطلاحي للصَّعَاليك:**

الصعاليك هم الفقراء الذين تمرّدوا على القبيلة ، و كان لهم اتجاه ثوري لم يكونوا فقراء فقط، بل كانوا أقوياء وشجعان، لهم حس مرهف وإدراك لما بينهم وبين الأغنياء من فوارق جعلهم هذا يدركون المهم النابع من خلاء أبديهم من المال وعجزهم عن الحياة التي يتمنون.

كانوا يقنون بالقوة ماقد حرموه، إلاّ أنّ نقمهم كان في ثأرهم من الأغنياء البخلاء الذين يسيطرون على تجارة القبيلة، بالإضافة إلى الوضع الراهن آنذاك في مجتمع لا قانون فيه يخضع لنظام القبيلة بحيث لا قانون، وإنما القوي يأكل الضعيف .

واشتهر منهم في الجاهلية:

عروة بن الورد، وتأبّط شرا ، والشنفرى والسليك ابن السلكة وعمر ابن براقة وفي الإسلام " الأحمر الاسعدي[1]."

[1] - أسماء بوبكر، ديوان عروة ابن الورد أمير الصعاليك، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص34 .

**3 ــ أسباب ظهورها :**

للحديث عن أسباب ظهور هذا النّوع من الشّعراء لابدّ من الإحاطة بالحياة التي كان يعيشها هؤلاء الشّعراء ، و الدّوافع التي فرضت عليهم ذلك . و أوّل ظهور لهم كان في العصر الجاهلّي ، و على ذكر هذا العصر فإنّه يتبادر إلى أذهاننا كيف كان يعيش الجاهليّ قديما ، فبالإضافة إلى تلك الحروب القبليّة التي كانت تنشب لأتفه الأسباب فقد كان يعيش العرب في الجاهليّة حياة تكاد تكون شبه مستحيلة ، فنشأتهم في صحراء قاحلة يعتمدون فيها على التّرحال من مكان إلى آخر بسبب عدم نزول المطر بانتظام زد على ذلك هبوب الرّياح القويّة ، كل هذه الظروف كان يقاسيها العربيّ الجاهليّ البدويّ[1].

و على هذا فقد عان سكان البادية طيلة فصول السّنة من هذه الأوضاع التي فرضت عليهم أن يكونوا في أتمّ الاستعداد للغزو و النّهب على المناطق التي تحضى برفاهية أكثر، و بأرض أكثر خصوبة كيثرب و الخيبر و الطّائف ، فقد كانت هذه المناطق محطّ اهتمام أهل البدو آنذاك . و نتائج ما ذكرناه سابقا من سوء الأحوال و المعيشة ساهم في خلق نوع من الأناس الذين اتّخذوا من السّطو و الظّلم و النّهب مهنة لهم للحصول على ما يريدون ، و كما هو معلوم عن العصر الجاهليّ أنّه تميّز بالطبقيّة ، فأشراف الناس و أغنياؤهم كانوا هم الطّبقة المسيطرة و أصحاب الرّأي و المشورة في القبيلة ، أمّا الفقراء منهم فكانوا مستضعفين لا حول لهم ولا قوّة ممّا جعل الصّعاليك يغيرون على الأغنياء الأشحاء و يوزعون ما غنموه منهم على الفقراء .

وكثيرا ما كان يفتخر الشّعراء بغزواتهم وغاراتهم على ممتلكات الأثرياء ،ومن الدّوافع التي كانت سببا في ظهور الصّعلكة هو رؤية هذه المجموعة من الصّعاليك إلى أنّ الثّروات لم تكن موزّعة بطريقة عفوية ممّا اضطرهم إلى أخذ نصيبهم غصبا من الأشحّاء ، ومن جهة أخرى يمككنا القول أنّ دافع سطو الصّعاليك على الأثرياء إنّما هو انتقاما لهم على تسلّطهم وتجبّرهم على الطّبقة المحرومة وبكون أنّ الصّعاليك كانوا من شذاذ المجتمع الجاهلي فإنّنا

[1] محمود حسن أبو ناجي ، الشنفرى شاعر الصحراء الأبيّ ، الجزائر 2007 ، ص 06 .

نصنّفهم في الدّرجة الأولى من الطّبقة المحرومة ، فبذالك تبنوا السّطو و الغزو في تحقيق أهدافهم وكسب قوتهم [1]، زد على ذلك أنّ الفقر كان هو القاسم المشترك بين الصّعاليك والذي أفصحوا عنه في مجموع قصائدهم حتّى أنّ عروة بن الورد الذي كان يمثل السيّد بين الصّعاليك كان هو الآخر فقيرا[2] .

ومعاناة هؤلاء الصّعاليك من فقر وجوع كان السّبب الرّئيسي في تلوّن أشعارهم بلون التبرّم والشّكوى فلا نكاد نقرأ لأحدهم شعرا حتى نجده يشكو الفقر والضّيق والإملاق بالإضافة إلى الحثّ على الغزو والثّأر لقول عروة بن الورد مخاطبا زوجته :

ذريني أطف في البلاد لعلّي أفيد غنى فيه لذي الحقّ محمول

أليس عظيما أن تلمّ ملـــــــــــــمة وليس علينا في الحقوق معوّل

فإن نحن لم نملك دفاعا بحادث تلم به الأيام، فالموت أجمل

فالملاحظ هنا أنّ عروة بن الورد لا يخيفه موت ولا أسر في سبيل كسب مايعيل به الأهل والفقراء ، بل وفضّل الموت على العزوف عن ما يقوم به في سبيلهم[3] .

ومن أسباب ظهور الصّعاليك في العصر الجاهلي هو الخلع ، وجاء في لسان العرب بمعنى أن يجني الرّجل الجنايات فيتبرّأ منه أولياؤه أو قبيلته بقولهم إنا خلعنا فلانا ، أي لسنا مسؤولين عن جنايته ولا نتحمّل نتائجها وبذلك يفرّ الرّجل من القبيلة ليصبح صعلوكا مع مجموعة من الخلعاء أمثاله ، الذين خرجوا عن تقاليد وأعراف قبائلهم[4] .

ومن أمثلة ذلك نذكر أبا الطّمحان لمّا جنى جناية وطلبه السلطان فرّ من البلاد فآواه رجل من بني شمخ ، مدحه قائلا :

سأمدح ملكا في كلّ كرب لقيتهم وأترك كـــلّ رزل

[1]ـ محمود حسن أبو ناجي ، مصدر سابق ، ص 07 ، 08 .

[2]ـ دراسة مقدمة لنيل درجة الماجيستر في الأدب و النقد ، جامعة الخرطوم ، 2008 .

[3] ، محمود حسن أبو ناجي ، مصدر سابق ، ص 07 ، 08 .

[4]ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مصطلح الخلع .

فما أنا والبكارة أو مخاض عظام حللة سدس وبــذل

وقد عرفت كلابكم ثيابـــــــي كأنّي منكم ونسيت أهلي

نمت بك من بني شمخ زناد لها ما شئت من فرع وأصل .

والمشكلة أنّ صاحب الأبيات هذه لم يتوقّف عن ارتكاب الجنايات الواحدة تلو الأخرى حتّى بعد إسلامه، وكوّن عصابة من الصّعاليك وأخذ يغزو بهم القبائل، ومنهم قبيلته ون خلعوه يوم ارتكابه جرمه[1].

وممّا لا بدّ من ذكره هو دافع الظروف الاجتماعية التي كانت تسود القبائل والمجتمعات الجاهلية من اختلاف في ميزان العدالة الاجتماعية خاصة على ذوي البشرة السوداء الذين استعبدوا وأهينوا من طرف أسياد القبائل ، وكما هو معلوم أنّ المجتمع الجاهلي قسّم إلى ثلاث طبقات متفاوتة أيّما تفاوت في مكانتها ، فالطبقة العليا كانت تمثل الأسياد والشّرفاء ذوي المشورة[2] ، وفي ما يخص الطّبقة الثانية فكانت طبقة الخلعاء والموالي ، أمّا الطّبقة الثالثة فهي طبقة العبيد والمستضعفين السّود ممّن توكّل إليهم مهمّة الرعي والأعمال الشّاقة .

وممّا لا شك فيه أنّ تشكّل هذه الطّبقات يولّد دافعا قويا لدى البعض للتصعلك والخروج عن جحيم هذه العدالة الظّالمة ، ولعل أهم مثال حيّ هو ما وقع مع الشنفرى الذي أقسم على الانتقام لوالد زوجته الذي قتل بسب أعراف القبيلة التى لا تقبل الخروج عنها وقال في ذلك :

جزينا سلامان بن مفرج قرضها بما قدّمت أيديهم وأزلّـــــــــــــــــت

شفينا بعبد الله بعض غليلنا وعوف لدى المعدي أوان استهلّت[3] .

فالشنفرى قد أقسم بقتل مئة رجل من بني سلامان بن مفرج وقد أوفى بقسمه ، فمثل هذه الأمور كانت دافعا لخروج هؤلاء الصعاليك وامتهانهم مهنة السلب والبطش لسدّ رمق العيش[1] .

[1]ـ دراسة مقدمة لنيل درجة الماجيستر في الأدب و النقد ، مصدر سابق .
[2] ـ محمود حسن أبو ناجي ، مصدر سابق ص08،09 .
[3] ـ استهلت : أي الحرب اذا ارتفعت الأصوات فيها .

عرف العصر الجاهلي مجموعة من الرّجال من بينهم شعراء ذو فصاحة وبلاغة ، مارسوا أعمال السلب والنّهب وتمرّدوا على قبائلهم ، وأعرافهم وتقاليدهم ، واتّخذوا الجبال ملجأ وملاذا لهم ، وغالبا ما ردّدوا صيحات الفقر والجوع في أشعارهم ، وأحيانا أخرى صيحات الثّأر والبطش والقوّة [2].

أطلق على هاته الفئة اسم الصّعاليك لما يحمله هذا الاسم من معاني الفقر والجوع والّتمرد ، وسنسلّط الضوء في حديثنا ها هنا على مجموعة من أبرز وأشهر صعاليك العصر الجاهليّ [3].

**4 ــ الشعراء الصعاليك " أسماؤهم و أخبارهم " :**

**1) عروة بن الورد:**

ولد الصعلوك عروة بن الورد العبسي في اليمامة قبل عام الفيل بحوالي ثلاثة عشر سنة نشأ وترعرع وتعلّم القراءة والكتابة وفنون الشعر بقبيلته عبس كما تعلّم الفروسية وركوب الخيل في سنّ مبكرة ، ليصبح فارس القبيلة وشجاعها ، عُرف بطيشه وخروجه عن القانون ، شهد له الكثير بأنه كان يسرق الطّعام ليُطعم الفقراء وكان ذلك سببا في تسميته بعروة .

كان أحدد أصدقائه عنترة بن شدّاد رغم الاختلاف الكبير بينهما إذ إنّ عنترة عاش وسط الفقراء والعبيد بخلاف عروة بن الورد الذي وُلد وتربى وسط عائلة من كبار القوم وشرفائها ، ورغم ما كان له من شأن وسيادة إلا أنّه كان عزيز النّفس شديد التّواضع جعله ذلك محط

[1] ـ محمود حسن أبو ناجي ، مصدر سابق ،ص09 .
[2] ـحنّا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، الطّبعة الثانية عشر 1987.
[3] ـشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، الفصل الأوّل .

فخر العرب ، وملوكها وشعراءها ، وحتى عبيدها[1]، وقيل إنّ عروة بن الورد كان قويّ البنية طويل القامة وسم الملامح طويل الشّعر ، وكان يكره القعود ويعتبره خذلانا وضعفا في النفس بل وكان يُشجّع على الخروج والسير في الأرض في سبيل الإصابة منها وكان يُنشد قائلا في الفقر :

دعيني للغنى أسعى فإنّي رأيت النّاس شرّهم الفقير

وإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدل على بغض وكره عروة بن الورد للفقر، حتى أنّه حثّ على الخروج و الاغتراب في سبيل القضاء عليه، بل وطلب الإغارة على القبائل وقطع الطريق على القوافل وسلب ممتلكاتها.

يقول عروة في ذلك :

وإنّ امرأ يرجو ثرائي وإنّ ما يصير له منه غداً لقليـــــــل

ومالي مالُ غير درع ومعفّر[2] وأبيضُ من ماء الحديد صّقيب

وأسمرُ خطّي القناة مثقّفُ وأجرد عُريان السّراة طويـــــــــــل[3]

وهكذا فقد سجّل عروة بن الورد اسمه وجعله خالدا في سجلّ الشعر العربي القديم لما يحمله شعره من فلسفة عميقة ورؤية للمجتمع وحلّ مشاكله ، يُرى أنّه تُوفي مقتولا وهو يقوم بإحدى غاراته ، وكان ذلك على يد رجل من قبيلة طيهة قبل ستة وعشرون سنة من البعثة المحمّدية[4] .

[1] ـأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السّكيت ، شرح ديوان عروة بن الورد ، مطبعة الجزائر ، ط11 ،1344 ص06 .
[2] ـ المعفّر : أي المغطى بالتراب .
[3] ـ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص 358 .
[4] ـ إدوارد كرنيليوس فانديك ، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، مطبعة الهلال ، مصر 1313ه ـ 1896 م ، ص 334 .

2) **السُليك بن سلكه :**

هو السُّليك بن عُمير بن يثربي بن سنان السّعدي التّميمي و السلكة هي أمّه ، وقيل إنّها امرأة سوداء وقيل أيضا أنّ السليك كان من ذوي البشرة السوداء أو القريبة من السّواد . كان أحد أبرز شعراء الصّعاليك في وقته رغم قلّة ما وصلنا من شعره ، يُعدّ شعره أقرب إلى النّثر الفصيح ، تقرّب السُليك من تأبط شرا و من الشّنفرى ، كما كان مقرّبا من عمرو بن برّاق ، أُطلق عليه لقب الرئبال لشدة عدوه و أُعتبر من أشدّ رجال العرب وأشعرهم وأعلمهم بمعالم الأرض حتى أنّ العرب كانت تدعوه سُليك المقانب لما كان يعلمه من مسالك الأرض .

كان يدعو دائما قائلا : " اللهمّ إنّك تهيئ ما شئت لما شئت . اللهمّ إنّي لو كنت ضعيفا كنت عبداً ولو كنت امرأة أمة. اللهمّ إنّي أعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة[1]".

وقيل إنّ سليك وجد ذات يوم قوما يتحدّثون إلى امرأته وكان هؤلاء القوم من بني عمومتها ، فعقرها سُليك بالسّيف فطلبه بنو عمّها فهرب ولم يقدروا عليه .

وقال في ذلك:

لزوار ليلى منكم آل برثن على الهول أمضي من سليك المقانب

يزورونها ولا أزور نساءهم ألهفى لأولاد الإمـــــام الحوا طـــــــــب

وفي هذا دليل على غيرة وتحفّظ السّليك ، إذ إنّه لم يرض أن يزور امرأته كائن من كان حتّى ولو كان ابن عمّها ، ويقول بأنّه هو أيضا لا يمكنه زيارة امرأة أحد غيره .

ويُقال إنّ سليك لقي رجلا من بني خثعم فأخذه وكان مع الرّجل امرأته من خفاجة فقال له الرجل أنا أفدي نفسي منك ، فقال السّليك ذلك لك أي وافق على ذلك شرط أن لا يتخيّس به ولا يطلع على أحد من خثعم ، فوافق الرجل وترك امرأته رهينة عند السّليك فنكحها فجعلت تقول له احذر خثعم فإنّي أخافهم عليك .

[1] أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ،أخبار السّليك بن سلكة ونسبه ، ،ص70

فردّ عليها قائلا :

تُحذّرني كي أحذر العام خثعما وقد علمت أنّـــي امرؤ غيرُ مسلـــــــم

وما خثعمُ إلاّ لئام أذلّـــــــــــــــة إلى الذّل و الاسحاق تنمي وتنمتمي

وفي ذلك هجاء لخثعم الذين وصفهم بالأذلّة اللئام ، وقد بلغ ذلك معشر الخثعميين فانطلق إليه شبل بن قلادة بن عمر بن سعد وأنس بن مدرك ، فلم يشعر بهم حتى طرقاه في الخيل ، وهناك قُتل السّليك على يد أنس بن مدرك[1] .

3) **تأبّط شرّاً:**

لم يبق بين أيدينا عن الصّعلوك الجاهليّ تأبّط شرّاً سوى كلمات متناثرة ، وبقايا عبارات في بعض التب ككتاب ابن جني ، فشاعرنا كان لشعره مكانة بين أشعار وقصائد الجاهلية ، ولقد كان يُفتتحُ بقصيدته القافية العديد من القصائد وعلى سبيل المثال نجد المفضّل الضبي وأبا تمّام ، وهذا الأخير ما ميّزه عن باقي الشّعراء هو ذوقه الرّفيع في اختيار جيّد القصيدة من رديئها واختياره لقصيدة تأبّط شرّاً دلالة على جودة الشّعر عنده ، ولا يقتصر الأمر عند الشّعراء وحسب بل إنّما تجاوز ذلك ليصل حتّى عند الكتّاب الذين ما خلت كتبهم من مجموع أبيات قصائد شاعرنا ، فالأصمعي مثلا اختار له في الأصمعيات أبياتا من قصيدته مطلعها :

وشِعْبٍ[2] كشلّ الثّوبِ[3] شكسٍ طريقُه مجامعُ صوحَيه نطافٌ مخاصرُ[4]

ولم يقلّ اهتمام أصحاب علوم اللّغة بشعر تأبط شرّا عن اهتمام الشّعراء والنّقاد به ، فعلى سبيل المثال نرى أنّ ابن منظور قد أورد في لسان العرب واحدا وستين شاهدا من شعر تأبط

[1] ـ أبو الفرج الأصفهاني ، مصدر سابق ، ص 70 .
[2] الشعب: بكسر الشين وهو الطريق في الجبل .
[3] شلّ الثّوب : بفتح الشين وهي خياطة الثوب خياطة خفيفة.
[4] ـ ثابت بن جابر بن سفيان ،ديوان تأبّط شرّا وأخباره ، الطّبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، ص13،09 .

شرا وفاق بذلك استشهاده بشعر الشنفرى . وإن دلّ

هذا على شيء فإنّه يدل على مكانة الشّاعر وشعره لدى الشّعراء والنّقاد والدّارسين لعلوم اللّغة . فمن يكون تأبط شراً؟

تأبط شرا هو لقبٌ لثابت بن جابر بن سفيان الفهمي وسبب هذا اللقب هو أمّه التّي رأته ذات يوم حاملا سيفه وتاركا المنزل ، فقالت لمن يأتي ويسأل عنه : تأبط شرا وخرج ، ومنذ تلك اللّحظة أصبح هذا اللقب لا يُفارقه . اشتهر شاعرنا بالشّجاعة والبسالة وذلك لكثرة غاراته ، فقد كان يغير ليلا ونهارا مسترجلا في معظم الأحيان وكان غالبا ما يكون حيدا ، ورغم هذا لم ينل منه أحد من شدّة كرّه وفرّه ، كان يقول الشّعر أقرب ما يكون من الشّعر الملحمي التمرّدي وقد ذاع يته لدى القبائل العربية ، فمزج بين الحياة ولذة المغامرة لكثرة المخاطر التي كانت تحدق به إلى أن قضى نحبه مذبوحا في فخ نصبته له قبيلة طالما كان يغزوها وينهب من خيراتها[1] .

[1] ـ عبد الرّحمان المصطاوي، ديوان تأبّط شراً، دار المعرفة للطّباعة والنّشر بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص07 .

## 1 ـ الحياة الإجتماعية في شعر الصعاليك :

أثرت الحياة الإجتماعية في العصر الجاهلي بتقاليدها وأعرافها القبلية ، في شعر الصعاليك تأثيرا واضحا، تجلى في الكثير من الموضوعات في شعرهم ، حيث يكاد المتأمل فيها أن يميز من الوهلة الأولى عن غيره من قصائد الشعر الجاهلي بما أنهم رفضوا طبيعة ذلك المجتمع ونقموا عليه ، وكما كانوا يتفاخرون بأنسابهم وذلك بطرق أخرى في شعرهم.

فنرى أن الشاعر المملوك مظلوم و منبوذ ، نحس في شعرهم عدم الرضا عن القبيلة والأهل حتى زوجته وإخوانه وهم يشكون نقمة دائمة من هذا الظلم الذي يؤرق مضجعهم.

فالشنفرى يستهل لاميته بهذه الشكوى ويظهر يأسه من بني أمه وأهله حتى يهون عليه أن يستفيض بالذئاب والوحوش التي الأهل وسوء معاشرتهم ألفته وألفها .

ويرى الشاعر أن الأرض متسعا لمن ضاق بكراهية بأن يضرب في أطرافها مبتعدا عنهم موفور الكرامة سالما من الاذى[1] .

إن عروة يقر المبدأ الذي يراه صحيحا إذا تخلى عنه أهله ، ولم يجد عندهم عوضا عما أصابه ، فلا مفر له من حياة الفقر. وإذا لم يجد الفتى من أهله العون وهو فقير، ووجد منهم الكيد وسوء المعاملة والمحنة ، حينها يكون أمام خيارين، إما أن يقبل هذه الحياة الذليلة والموت أشرف له من ذلك ، والأمر الثاني لا يذكره عروة وإنما يظهره وهو أن يضرب في الأرض متصعلكا[2].

وتأبط شرا يشكوا من علاقته بأهله وأصدقائه ويقول إنه لا يأسف على هذه الغلة التي لايستحق أن يبكي عليها ، لأنها في أصله خلصة ضعيفة وحبالها واهنة و متقطعة ، ثم يقول له إذا أحس بتلك القرابة أو الصداقة تمحو نحو ما ذكر والتي لا تعطي الخلعة ما الدهر به يستحقه من إهتمام فإنه سيخلص منها كما تخلص من قبيلة بحيلة في تلك الليلة التي أرادت فيها قتله فبذل مجهوده في الهرب والنجاة بنفسه.

[1] ـ حماسية ابن الشنفرى، الطبعة الأولى، مصر، القاهرةن1344هـ/1925م ، ص 72 .
[2] ـ ديوان عروة، ، شرح مفدي دار الجيل ، بيروت،1416هـ/1996م ، ص 91 .

و يقول في ذلك :

إني إذا ما خلت صرمت وأمسكت بضعيف الوصل أحداق

نجوت منها نجاتي من حيلة إذ ألقيت ليلة خبن الرهط أوراقي[1] .

- **ذم المجتمع في كثير من صورة :**

لم يكن الشعراء الصعاليك يرون غزواتهم المتكررة على القبائل أدنى غضاضة وأضل ملامة ، وإن كان المجتمع يطلق عليهم" ذؤبان " و" صعاليك" ويذهب معظمهم إلى الفخر بهذه الإعتداءات والتلذذ بذكرها و تصويرها في شكل إنتصارات تضاف إلى أمجادهم التي يحشونها ويحسبونها من حقوقهم اللتي يجب أخذها.

وقد كان الغزو والإثارة هما دأب كل القبائل الجاهلية آنذاك ،وإذا كانت الحروب تنشب بسبب النزاعات ،حول الكلأ والماء ، وأحيانا تؤججها مباشرة مشاجرة بين شخصين ، وقد يحدث أن تغير عشيرة على عشيرة من قبيلتها وهذا من ولعهم بالحروب ، وفي ذلك يقول الشاعر:

وأحيانا على بكر أخانا إذا ما لم نجد إلا أخانا[2]

[1]ـ المفضليات، احمد شاكر،عبد السلام هارون،ط4، دار المعارف، مصر، ص28،.
[2]ـ الكامل المبرد ، دار الفكر ، الجزء الاول، ص183 .

ولقد كان الشعراء الصعاليك يسوقون في أشعارهم ما يؤيد مسلكهم في الغزو ويشيرون إلى كثير من المشاهد الذميمة التي لا ترضيهم ، مما جعلهم يفتخرون بأنفسهم عن طريق ذم المجتمع في كثير من صوره.

وهم حين يفتخرون ينفون عنهم الكثير من الصفات الذميمة التي كانت سائدة في مجتمعاتهم.

- **تكلف الحياة السائدة :**

لعل ما واجهه الشعراء الصعاليك من ضيم وعذابات جعلهم يفتخرون بأنفسهم وهم يضفون عليها السادة الملوك ، ويتعاملون بكبرياء وأنفة ، وقد يكون في طبيعة تكوينهم الإجتماعي أثر في تكلفهم هذه الحياة إذ أن معظمهم لا يرتفع بهم نسبهم إلى درجة تمكنهم من الفخر والاعتزاز، وإن لم يصرح شذاذهم و خلعائهم بذلك ،عدا الذي إعترف بوضاعة نسبه من جهة أمه حيث يقول:

لا تلم سيفي فما أدرى به غير أنّ شارك عهد في النسب[1]

ولكن عروة وأصحابه لا يريدون أن يشعروا بوضاعة نسبهم أو إملاقهم أو حاجتهم للمجتمع ، فهم يرون أنّ السيادة تأتي بمكارم الأخلاق ومن مظاهر قوتهم أنفتهم من القيام بالأعمال الفرعية التي كانت تؤكل للموالي والعبيد ،وهو لاشك كبرياء يتناقض مع أحوالهم الإجتماعية والإقتصادية .

- **الذاتية والبعد عن الجماعة:**

[1] ـ ديوان عروة ، دار الجيل ، بيروت، ط1416،1 هـ/1996م ، ص 91 .

كان الشعراء الجاهليين هم لسان قبائلهم ومجتمعاتهم ، يمدحون ساداتها ويمددون مآثرها ، ويفتخرون بأمجادها وانتصاراتها وسجاياها ، إلا أن الشعراء الصعاليك تخلصوا من هذا الانتماء القبلي( الجماعي ) الذي يطغى على الفرد ،وهذا شيئ لا غرابة فيه إذا نظرنا إلى أسباب تمردهم من خلع وطرد و اضطهاد ،وفقر وتذمر من ضيق العيش مع الجماعة ،واستحالة استمرارهم مع قبائلهم.

و لذلك لم يكن غريبا أن يبتعدوا عن ذكر القبيلة في شعرهم وأن يظهروا غضبهم على مجتمعاتهم ، فاستفاضوا بالذّات عن الجماعة ، والظّاهر في أشعار الصّعاليك إبتعادهم عن ذكر القبيلة ، وإن تحدثوا عنها وصفوها بأقبح الصّفات وتوعدوها بالغزو والإثارة ،ومن ذلك هجوم عروة على قومه بني عبس حين إتهمهم بالتّهرب من تحمل المسؤولية الجماعية وتركهم سفهائهم يتناولونه بألسنة السوء ووقوفهم ذلك موقفا متلبّسا.

والظّاهر في شعر الصعاليك قلة قصائد المدح في أشعارهم فقد أعرض معظمهم عن المدح التقليدي الذي كان شائعا في العصر الجاهلي[1].

- **أقسام الصعاليك:**

ويمكن أن نميز الصعاليك إلى ثلاث مجموعات:

أ- **مجموعة من الخلعاء الشّذاذ:** الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم ، حاجز الأسدي وقيس الحدادية.

[1]- الاصول الفنية في الشهر الجاهلي، مكتبة غريب، 1997م ، ص393 .

ب- **مجموعة من أبناء الحبشيات السود**: من نبذهم آباؤهم ولم يلحقوا بهم العار عند ولادتهم مثل السليك بن السلكة ، وتأبط شرا والشنفرى، وكانوا يشاركون أمهاتهم في سوادهم فسموهم " أغربة العرب".

ت- **مجموعة الثالثة:** لم تكن لا من الخلعاء ولا من أبناء الإماء الحبشيات غير أنّهم احترفوا الصّعلكة احترافاً ، أحيانا أفرادا مثل: عروة بن الورد العبسي ،وقد تكون مثل قبيلة هذيل ، وقبيلة الطائف، اللّتان كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف على التّوالي.

هذه المجموعات هي التي أدت لبروز هذه الطائفة في العصر الجاهلي .

**2 ــ القيم الاجتماعية في شعر الّصعاليك :**

تُعدُّ القيم أحد أهمّ الرّكائز التي تُبقي المجتمعات متماسكة فيما بينها، بل وتساعد على بناء أمم متطوّرة قادرة على خلق جوّ مناسب للفرد داخل هذه المجتمعات. والقيم الاجتماعية هي الصّفات المرغوب فيها والمحبّبة لدى أفراد المجتمع ، تشترك في تحديد وضبط السّلوك البشري في وجهته العامة والخاصة [1]، وقد قيل في فضل الأخلاق في بناء المجتمعات والأمم:

"إنّــما الأمــم الأخــلاق ما بــقــيـــت

فـإن هــم ذهــبـت أخــلاقــهم ذهبوا"

إذ تعتبر الأخلاق أحد أهم القيم التي يحتاجها الإنسان والمجتمع ليُحافظ على ترابط خلاياه وتماسكها، وعلى ذكر المجتمعات وما تحتاجه من قيم ، نأتي على ذكر المجتمع

[1] حاتم الطّائي ، ديوان حاتم الطّائي ، طبعة بيروت ، دار صادر 1981، ص09 .

الجاهليّ الذي سبق عصر الإسلام ، وكما هو معلوم فإنّ هذا الأخير هو من أرسى ووأى وحثّ على ضرورة هذه القيم .

فهل كانت منعدمة في العصر الذي سبق الإسلام ؟ .

وهذا ما سنتطرّق إليه في هذا الموضع من البحث ، وكما هو معلوم فقد تميّز العصر الجاهليّ عن غيره من العصور خاصة العصور التي تلته بالشدّة والغلظة ، كان سببه طبيعة الحياة القاسية في بادية الصحراء نجم عن ذلك نشوب صراعات وحروب بين القبائل العربية سواء على جديّة الأمور أو أتفهها ، وكان العربي آن ذاك يؤمن أشد الإيمان بضرورة الثّأر لنيل ما سُلب منهم سواء أكان متاعا ، أو دما مسفوكا [1]، لكن ما ذكرناه الآن كان مجرد نظرة حول حياة الرّجل الجاهليّ من زاوية معيّنة ، فلو غيّرنا النّظر من إحدى الزوايا الأخرى لوجدنا أنّ العربي عرف أيضا العفو في بعض الأحيان التي يتطلب فيها الأمر الصفح والعفو ، بالإضافة إلى الكرم و العطاء حتى أنّه ضُرب ببعضهم المثل في شدّة الكرام والجود و العطاء ، بالإضافة إلى الشجاعة والفروسية والقوّة التي كانت من أهم صفاتهم ، فحبهم للفروسية ، وركوب الخليل خير دليل على ذلك ، وقد طبعت الصحراء العرب ممّن كانوا يسكنوها ويتقلّبون بين أرجائها بطابعها العميق .

فنرى العربي يتميّز بالكرم و الإيثار في نفس الوقت يغلب عليه طابع النّهب والسلب ، وحينما نقول طابع النهب والسّلب فإنّنا لا نُعمّمُ ، بل إنّه كانت هناك قبائل تميّزت بمثل هذه الصّفات ، ونجده يتميّز بطابع الجود وقيم الأخلاق .

كل ذلك كان في مايُسمى بالقبيلة التي كانت تجمعهم ، ولكل قبيلة عاداتها وتقاليدها وأعرافها التي لا يمكن لأي شخص الخروج عنها ، ولكن هذا لا ينفي خروج البعض عن هذا ، فقد شهد العصر الجاهليّ مجموعة من الخارجين عن أعراف القبيلة سُمّوا بالصعاليك ، لكن خروج هؤلاء عن قبائلهم لا ينفي وجود قيم وأخلاق يمتاز بها هؤلاء الصعاليك .

[1] حاتم الطّائي ، مصدر سابق ، ص09 ، 10 .

ولعل أهم الأخلاق التي تميّز بها هؤلاء النّاس كان بسبب الحرمان الذي تعرّضوا له طوال حياتهم ، فعيشهم بين وحوش الصّحراء لم يزدهم سوى حبّا للفقراء والمساكين ، وحب التّصدّق عليهم ومساعتهم بما يقدرون عليه ، ولو كان بهم خصاصة ، فأبعد عنهم ذلك البخل وحب النّفس والطمع ، وغير ذلك من الصّفات البذيئة [1]، ومن الصفات الحسنة التّي تميّز بها الصعلوك الجاهليّ والتي تُعدُ من أهم القيم التي يجب أن تكون حاضرةً في المجتمعات ألا وهي الكرم ، فعلى سبيل المثال نجد أن الشنفرى تميّز بالإيثار ، وإكرام الضّيف فعندما لا يجد ما يقدّمه لضيوفه ويتعسّر عليه الحال لا يلجأ إلاّ للاعتزال ، ومغادرة مجموعته .

وقد وصف العزلة قائلا:

أقيموا بني أُمِّي صدور مطيِّكم فإنّي إلى قـومٍ سِواكـــم لأمــيـلُ[2]

فهو يرى بأنّ الخروج في سبيل البحث عن ما يُقدّمه لغيره أفضل من البقاء بين أحبّاءه في ظلّ قلّة المال و الحاجة إليه ، ونجده في مواقف كثيرة يشكو عوز حاله وقلّة مكسبه ، وعلى سبيل المثال يقول في أحد أبياته بعد أن اشتدّ به القهر :

فقد حمّت الحاجات والليل مقمر وشدّت لطيّات مطايا و أرحـــــلُ

وهنا يُفضّل العيش مع الحيوانات على أن يعيش بين البشر الذين تحوّلوا بأفعالهم إلى ذئاب لا يُساعد أحدهم الآخر، بالإضافة إلى تعدّي قويّهم على الضّعيف ، وفي صورة أخرى عن الكرم نجد عروة بن الورد الذي أنفق الأموال الكثيرة على الفقراء ولم يقتصر إنفاقه على فقراء الصّعاليك وحسب ، وإنّما شمل بذلك كل فقير ومحتاج ، ودليل ذلك قوله:

فراشي فراش الضّيف والبيت بيته لم يلهني عنه غزال مقنّـــــــع

أحـــدّثـــــه إنّ الحديـــــث من القرى وتعلم نفسي أنّه سوف يهجع

[1]- يوسف خليف ، الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ط4 ، ص274 ،276 .
[2]- يوسف خليف ، مصدر سابق ،ص274 ،275 وما بعدهما .

وكما هو الحال فإنّ الظّروف التي جعلت عروة بن الورد يُساعد كل من يحتاج المساعدة ، هي قساوة الظّروف التي جعلته يصل إلى درجة الكرم الأسمى المنشودة ، وخير دليل على ذلك هو قول عبد المالك بن مروان حيث قال:" من زعم أنّ حاتما أسمحُ النّاس فقد ظلم عروة بن الورد".

والملاحظُ في ردّ الجميل والذي لا يقوم به إلاّ من اتّسم بالقيم الأخلاقيّة، نجد السُّليك [، سُلكة الذي لم ينس فضل تلك المرأة التي حمتهُ و دافعت عنه ، فردّ جميلها بالأبيات التّالية:

لــعمر أبــيك والأنباء تنــمي لمنـعم الجار أخــتُ بــني عوارا

من الخفرات لم تفضح أباها ولـــم تـرفــع لإخـــــوتــها شنــارا

وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السّيف و استلبوا الخمارا

ومنه فإنّ لقب الصّعلكة لا يدلّ بالضّرورة على النّهب والسّلب والظّلم ، والاعتداء على الغير ، ورغم أنّ بعض الأشخاص لطّخوا هذا اللّقب بعد ما تستّروا به ليسرقوا ويفتكوا بالغير ، حتى سمّوا باللصوصيين والذئاب ، إلا أنّه لا يمكننا تسمية أي شخص يسرق ويعتدي بالصّعلوك ، لأنّنا رأينا صفات وقيم أخلاقية عالية لبعض من سمُّوا بهذا الاسم [1] .

[1] ـ يوسف خليف ، مصدر سابق ،ص275 ،276 .

**1 ــ حياة الشنفرى ونسبه:**

هو شاعر جاهليّ من فحول الطّبقة الثّانية وُلد في القرن الخامس ميلادي، عُرف بفتكه و عدائيته وسرعته في العدو، عاش في البراري و الجبال بعد أن تعرّض للخلع من عشيرته، تعدّدت الرّوايات واختلفت حول نسبه ومولده ونشأته ، فقيل إنّه ثابت بن الأواس الأزدي ولُقّب بالشّنفرى لعظم شفتيه.

عاش الشّنفرى بين أحضان قبيلته سلامان يرعى أغنام من سباه ، وقد تعدّدت الرّوايات في شأن نسبه فقيل هو من الأوس بن الحجر بن الهنئ بن الأزد، وأنّ قبيلة بني شبابة أسروه فلم يزل عندهم حتى أسرت قبيلة بني سلامان رجلا منهم ففدوه مقابل الشنفرى ، فأصبح فيهم يظنّ نفسه منهم، والأصل أنّ أم الشّنفرى وقعت في قبيلة فهمٍ مع ابنيها أحدهما الشّنفرى ، وبعد أن قامت القبيلة بقتل رجل منهم يُقال له الحارث بن السّائب الفهمي ، رهنوا الشّنفرى وأمّه وأخاه فسلّموهم لهم، وعاش بينهم لا يحسب نفسه إلاّ واحدا منهم ، وكان يغيرُ على الأزد فيقتل منهم ما يقتل حتّى أنّه انتقم من قاتل أبيه بعد أن دلّوه عليه .

وقال في ذلك:

قــتلــتُ حــرامــاً مُهدياً بمُـلبـّد ببطن منى وسط الحجيج المصوّتِ[1] .

تزوّج الشنفرى من ابنة السيّد الذي كان يرعى الغنم عنده ، وقصة زواجه كما ذكرت إحدى الرّوايات أنّه كان يرعى الغنم مع ابنة سيّده ، وقيل إنّه طلب منها أن يُقبّلها أو قبّلها ، فلطمته وأخبرت والدها عن ذلك فسارع الوالد إلى الشنفرى يرى في أمره أو يقتله فسمعه ينشد قائلا:

ألا هل أتى فتيانَ قومي جماعةً بما لطمت كفُّ الفتاة هجينها

ولو علمت تـــــلك الفتاة منــاسبي ونسبتَها ظلّت تُقاصر دونها

[1] ـ عمرو بن مالك، ديوان الشنفرى، الطّبعة الثّانية، دار الكتاب العربيّ، ص12،11.

فقال الوالد لولا أنّي أخشى قتل بنو سلامان لي لزوّجتُك إيّاها ، فقال له الشّنفرى عليَّ إن قتلوك أن أقتُل بك منهم مئة رجلٍ انتقاما لك، فتزوّج الشنفرى ابنة السيّد لكن بنو سلامان قتلوا والد الفتاة زوجة الشنفرى ، فقام هذا الأخير بما وعد الرّجل به وقام يقتل منهم، وهنا يأتي الحديث عن مقتله ، إذ تقول إحدى الرّوايات أنّ بنو سلامان بعد أن قتل منهم نفراً كثيراً قتلوه غدرا باللّيل بعد أن أمن شرّهم ووضع سلاحه جانباً، فلم يدْر حتى وجدهم عند رأسه قد تمكّنوا من سلاحه فقتلوه ، وصلبوه في جدع شجرة ، فلبث فيها مصلوبا عاماً أو عامين ، والمجهول هنا هو سنة مقتله إذ لا توجد أيّة مصادر تذكر ذلك ، وما تمكّنا من معرفته هو أنّه كان قريباً زمنيّاً من عصر النّبي صلى الله عليه وسلّم ، إذ أنّ بعضا ممّن صاحبهم أدركوا الإسلام وأسلموا أمثال تأبّط شراً ، الذي رثاه بعد موته في أبيات طويلة[1] .

وقد حدّد الزّركي سنة وفاته حوالي 70ق أي نحو 565م، وممّا ثبت تاريخياً أنّ الشنفرى قد نشأ وترعرع في أحضان الحركة الصّعلوكية، ممّا فرض عليه أخذ منهم أخلاقهم وورث عنهم خشونتهم وفتكهم، فغرس ذلك في نفسه العنف والغضب والكراهية ، لعامة النّاس وخاصةً الأغنياء منهم.

أمّا عن أعماله الّتي بقيت خالدةً إلى يومنا هذا فهو ديوانه الذي لا نعرف عنه شيئاً والذي لا يزال باقياً عند محمود بن أحمد العينيّ، أمّا عن أشعاره فله لاميته المشهورة ، وبعضاً من الأغاني وقصيدة أم عمرو وعض أشعار الحماسة، بالإضافة إلى قصيدة: لاتقبروني ، وغيرها من الأعمال ، بالإضافة إلى تائيّته التي رواها أئمّة الأدب و الرّواة، ولم يتعرضوا للطعن أو الشّك في انتسابها للشنفرى ، كما تولّى المفضّل الضبيّ شرحها بالتّفصيل ، وأدلى بإعجابه بها في بيان الصّفات الحميدة للمرأة التي تغزّل بها في قصيدته تلك[2].

[1] ـ عمرو بن مالك، مصدر سابق، ص20،19.
[2] ـ محمود حسن أبو ناجي، مصدر سابق،ص20 وما بعدها.

**2 ــ مقطوعة من لاميّة العرب للشنفرى:**

1. أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم فإنّي إلى قوم سواكم لأميلُ
2. فقد حمّت الحاجاتُ واللّيلُ مُقمرٌ وشُدّت لطيّاتٍ مطايا وأرحلُ
3. وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى مُتعزّلُ
4. لعمرُك ما في الأرضِ ضيقٌ على امرئٍ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقِلُ
5. ولي دونكم أهلون سيدٌ عملّسُ وأرقطُ زهلولٌ و عرفاءُ جيألُ
6. هم الأهلُ لا مستودعُ السرّ ذائعٌ لديهم، ولا الجاني بما جرّ يُخذلُ
7. وكلُّ أبيٌّ ، باسلٌ ، غير أنّني إذا عرضت أولى الطّرائد أبسلُ
8. وإن مدّت الأيدي إلى الزّاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشعُ القوم أعجلُ
9. وما ذاك إلاّ بسطةٌ عن تفضُّلٍ عليهم، وكان الأفضلَ المتفضّلُ
10. وإنّي كفاني فقد من ليس جازيا بحسنى، ولا في قُربه مُتعلّلُ
11. ثلاثة أصحابٍ : فؤادٌ مشيّعٌ، وأبيضُ أصليتٌ، وصفراء عيطلُ
12. هتوف، من المُلسِ المُتُونِ، يزينُها رصائعُ قد نيطت إليها، ومِحْمَلُ
13. إذا زلّ عنها السّهمُ، حنَّتْ كأنّها مرزّاةٌ، ثكلى، ترنُّ وتُعْوِلُ
14. و لستُ بمهياف، يُعشّي سوامه مجدّعةً سُقبانها، وهي بُهلُ
15. ولا جبّأ أكهى مربٍّ بعرسه يُطالعها في شأنه كيف يفعلُ[1]

[1] دكتور محمود حسن أبو ناجي، الشّنفرى شاعر الصّحراء الأبيّ، الجزائر-2007،ص115،114.

16. ولا خـــرقٍ هـــيقٍ، كـــأنّ فـــــــــؤاده يظـلُّ بـــه الـكـّـاءُ يـــعـــلـــو ويـــسفـــلُ

17. ولا خـــالـــف درايـــة، مـــتـــعـــــــــــــزِّلٍ يـــــروحُ ويـــغـــدو، داهـــــنـــاً، يـــتـــكحـَّـلُ

18. ولستُ بِعَـــلٍ شـــــرُّه دون خـــيـــــــــــرِه ألـــــفَّ، إذا مـــا رُعْـتـَهُ اهـــتـــاج، أعـــزَلُ

19. ولستُ بمحيارِ الظّلام إذا نحـــــــــت هدى الهوْجَلِ العِسِّيف يهماءُ هوجـــــــلُ

20. إذ الأمعزُ الصَّوَّانَ لاقى مناسمـــــــي تـطـايـر مـنـه قـادحٌ ومُـفـلّـــــــــــــــلُ

21. أُديمُ مِطال الجوع حتّى أُميتـــــــــــه وأضربُ عنه الذّكرَ صفحاً فأذهـَـــــــــــلُ

22. وأستفّ تُرب الأرض كي لا يرى له عليّ من الطّـــول امـــــــــروٌّ مُـــتـــطـــــوّلُ

23. ولولا اجتنابُ الذّأمِ لم يبْق مَشـــرْبٌ يُـــعـــــاشُ بـــه إلاّ لـــديَّ ومـــــأْكـــــــــــلُ

24. ولكن نفساً حرّةً لا تُقيمُ بـــــــــــــي على الظّيـــــم إلاّ ريـــثـــمـــــــــا أتحـــــوّل

25. وأطوي على الخَمص الحوايا كما انطوت خـــــيـــــوطة مـــــاريّ تُغـــــارُ وتُـــفـــتـــــلُ

26. وأغدو على القُوتِ الزّهيد كما غدا أزلُّ تَـــهـــَـــاداه التّـــــنـــــائِـــفُ أطـــحَـــــــــــلُ

27. غدا طاويا يُعارضُ الرّيح هافـــيا يخوت بأذنابِ الشِّعابِ ويَـــعـــــسِـــــــــــلُ

28. فلمّا لواه القوتُ من حيثُ أَمَّـــه دعا فأجـابـــته نظائـــــرُ أطـــــــــحـــــــــلُ[1] .

### 3 ــ شرح وتحليل لاميّة العرب:

يُعدّ الشّعر الجاهليّ من أجود أنواع الشّعر العربيّ لما يُميّزه من فصاحة وبلاغة، إذ يُعدّ سجلاّ لحياة العرب قبل البعثة المحمّدية، إذ اعتُمد عليه في وضع قواعد النّحو، والاستشهاد على صحّتها، كما اعتمد عليه مفسّروا القرآن ليتمكّنوا من ادراك معاني الكلمات ومدى ورودها في اللّغة، فقد تميّزالعصر الجاهليّ بمجموعة من الشّعراء الذين برزوا في السّاحة بفضل قصائدهم، أمثال عنترة بن شداد العبسي وعمرو بن مالك وغيرهم، كما شهد هذا العصر مجموعة من القصائد عُرفت بالمعلّقات كونها عُلِّقت في جدار الكعبة ، وليست المعلقات وحدها من أخذت حيّز اهتمام الأدباء و العلماء لها، فقد كان لبعض القصائد ظهوراً ملحوظاً، وسُلِّط عليها الضّوء، كما نالت بدورها اهتمام العديد من الدّارسين، ومن بين هذه القصائد نذكر لامية العرب التي نُسبت للشاعر الجاهليّ والصّعلوك المتمرّد ثابت بن أواس المُلقّب بالشنفرى، وقد عُرفت بلاميّة العرب دون سواها من اللاميّات[2] .

وقد اهتمّ بها دارسوا الأدب واللّغة وتمّ شرحها وتحليلها من طرف العديد أمثال: الزّمخشري والمفضّل الضبيّ، ولا يُعرفُ سبب تسميتها بهذا الاسم ، فهناك قصائد لامية كثيرة منسوبة لشعراء جاهليّين أمثال: زهير بن أبي سُلمى وعنترة بن شداد وغيرهم من الشّعراء [3].

[1] ـ دكتور محمود حسن أبو ناجي ،مصدر سابق،ص115.
[2] ـ إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996 .
[3] ـ يوسف خليف، الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهليّ، دار المعارف، ط3، الجزء الأوّل، ص130،129 .

ولربّما يعود السّبب في ذلك إلى تعبيرها الشديد عن حياة العرب في العصر الجاهلي ، وقد لقيت لاميّة العرب اهتماماً بالغاً من طرف دارسي وشارحي الأدب، واعتُبرت من أهم أشعار الشّنفرى بل من أبدع ما كتب لما بلغته من شهرة واسعة حتى أنّها ترجمت إلى عدّة لغات من طرف المترجمين والمستشرقين، وقد قال المستشرق جورج يعقوب فيها:" إنّ موطن هذه القصيدة هو تلك المرابع في جنوب مكة بين الجبال التي تقع في شمال اليمن، حيث مضارب الأزد قبيلة شاعرنا، إنّني لا أفهم كيف يستطيع المرء أن ينكر هذه القصيدة التي تتنفّس بعبير الصّحراء وترسم جاهلية العرب بكل نقاء، وتصور حياة رجل حمل أحقاداً أورثته إياها مظالم النّاس، وعقوق والأخوة وجور العدالة، ويعزوها إلى رجل من بين أولئك اللغويّين الذين يقتلون وقتهم جدلاً في اعراب جملة قصيرة"[1].

فنفهم من هذا الكلام أنّ المستشرق جورج يعقود يعجب كلّ العجب من أولئك الذين لا همّ لهم سوى التشكيك في لاميّة العرب، و انتسابها للشنفرى. فهو يرى فيها صورة الصعلوك المتشرّد وسط صحراء مكة يتخبّطُ بين شعابها[2].

وفي تذوّقنا وتحليلنا للقصيدة نجد أنّ الشنفرى كصعلوك نبذه المجتمع يلجأ في أحيان كثيرة إلى التغنّي بمحاسنه، وأخلاقه وصبره على الُمعانات وصعوبات الحياة التي يعيشها وسط الصحراء .

ونجد ذلك جليّاً في قوله:

وإن مدّت الأيدي إلى الزّاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشعُ القوم أعجلُ

وما ذلك إلاّ بسطةٌ عن تفضّلٍ عليهم وكان الأفضل المُتفضّلُ

فهنا بيّن الشّاعر أنّه ليس من ذلك النّوع الذي يغلب عليه طابع الجشع والطمع، فهو ليس ممّن يمدّ يده إلى الزّاد، ويرى ذلك من تفضّله عليهم بهذا الخُلق الذي لا يجده في كثير من

[1] ـ عمرو محمد الأمير مختار، لامية العرب للشنفرى، مقال 2012، تحليل وتذوّق، مجلّة شبكة الألوان.
[2] ـ محمد بديع شريف، شرح لامية العرب نشيد الصحراء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968، ص44.

النّاس، والمُلاحظ في هذه الأبيات تضخّم الأنا لدى الشاعر، وما ذاك إلاّ توكيد لما يسرده من محاسن أخلاقه وحسن صنيعه[1].

كما يذكر أنّه يتّم أطفالا رمّل نساءً، ممّا جعل النّاس ينظرون إليه نظرة القاتل ، عكس ما يراه عن نفسه، ويطلبون قتله ويتقامرون على لحمه إن ظفروا به، ويبدو ما قلناه هاهُنا جليٌّ في قوله:

طريدُ[2] جناياتٍ تياسرن لحمهُ عـــقـــيـــرتـــــه[3] لأيّـــها حُـــمَّ أوّلُ

تنامُ إذا ما نام يقظى عُيُونُها حثاثاً إلى مكروهـه تـتـــغـــلـــغـلُ

فأيّمتُ[4] نسواناً و أيتمتُ إلدةً وعدتُ كما أبدأتُ و اللّيلُ أليلُ

وهنا دلالة على أنّه يقوم بكل أعماله ليلا، ويعود إلى ملجأه و اللّيل ما يزال حالكاً، كما يرى بأنّ الحيوانات أفضل من البشر في حسن الجوار.

و افتتح الشّاعر قصيدته بمخاطبة أبناء جلدته و هم الأشقاء و الأخوة الذين تربطه بهم المودّة و الصّلة، يخبرهم بتهيّئه للرحيل قاصداً غيرهم بقوله: " فإنّي إلى قومٍ سواكم لأميلُ " ، فالشّاعر يرى بأنّ الكريم لا يتحمّلُ الذلّ، ويرى الاغتراب الوسيلة الأمثل للتخلص من كيد الحاقدين ، كما أنّه أسم بالعمر، وأكّد أنّ الأرض واسعة لصاحب الحاجات و الرّغبات، وحتى أنّها واسعة للخائف، فهو يصف الأرض بالكرم لمن يختار الغربة وجهةً له، و لا يرضى البقاء و الذّل، وعدد صفات أهله الذين سيعيش معهم دون أهله و الذين وصفهم بصفات يرى بأنّها تليق بمقامهم، والمعلوم هنا أنَّ أهله الذين قصدهم هم الحيوانات التي يرى بأنّها سبيله الوحيد للتخلّص من كيد جماعته، من بني البشر ، وعدد صفات الحيوانات، فنرى أنّه وصفها بالبسالة وعاملهم معاملة العُقلاء ، وذلك ظاهرٌ في قوله:" هم الأهلُ لا مُستودع السّر ذائعٌ لديهم"، وكأنّه يقول بأنّهم الأهل الحقيقيون لا أنتم، و كما هو مُلاحظ في جميع أشعار

[1] ـ الشّيخ احماد بن ابا الأبهمي اليماني، شرح لاميّة العرب "الشّنفريّة".
[2] ـ الطريد: المُبعدُ.
[3] ـ عقيرته: نفسه.
[4] ـ الأيم: لا زوج له من الرجال و النّساء .

الصعاليك أنّهم يميلون كلّ الميل إلى مدح وذكر صفاتهم وأخلاقهم الحميدة التي لا يراها فيهم غيرهم، كما لا يُضيّع أي فرصة تسمح له بالحديث عن معاناتهم من فقر، وجوع وبرد وحرمان ، كما أنّه يذكرُ كبرياءه وصبره على ذلك[1] .

[1] ـ الشاعر محمد أسامة البهائي، شرح لامية العرب للشنفرى، منتدى قسم الآداب و العلوم الانسانيّة، 2007.

## الخاتمة

وختاما لقد استمتعنا لقد استمتعنا ونحن نجول في قبائل العرب بين سادتها وأمرائها وحتى بين عبيدها، فرأينا روعة الصّحراء رفقة الوحوش، وتذوّقنا قيمة تلك الحريّة التي خُلقت من المعانات البؤس الممزوج بحماس المغامرة وذكاء غارات الصّعاليك، واستخلصنا من كل هذا مجموعة من النّتائج:

كان أوّلها ولوجنا في أعماق نفوس الصّعاليك لنُلمّح عن جزء يسيرٍ من شخصيّتهم وعلى ما انبنت عليه جلّ أفكارهم وحقيقة تصعلكهم، بالإضافة إلى التّعريف بهذه الظاهرة التي انتشرت في المجتمع الجاهلي آن ذاك من خلال مفهومها اللّغوي والاصطلاحي، كما وقفنا على ذكر أهم الأسباب التي دفعت بالجاهلي للتّصعلك، فرأينا أن بعضهم كان دافعه الثّأر والانتقام ممّن سلبوه حقّه، والآخر كان سببه التّمييز العنصري الّذي كان سائداً في المجتمع القبلي آن ذاك، فلا أحد يُنكر تلك المعامل التي كان يُعامل بها ذوي البشرة السوداء .

كما نلاحظ من خلال دراستنا لهذا الموضوع اختفاء ظاهرة لطالما كانت سائدة في المجتمع الجاهليّ آن ذاك، ألا وهي مدح الأمراء و السّادة الكبار، فشعر الصّعاليك بات يخلوا من مثل هته الظّواهر، فلا نجده يمدحُ أميراً ولا ملكا، بل نجده يستعمل المدح في نادر الأحيان إذا تعلّق الأمر بمن أحسن إليه، وعلى ذكر الإحسان فالصّعاليك ما ميّزهم عن غيرهم هو تخلّقهم بالقيم الحميدة، فالصعلوك لا ينسى جميلا بل ويردّه بأحسن منه إن استطاع .

و عالجنا في موضوعنا هذا أيضا لاميّة العرب التي لا تخلو من مكارم الأخلاق، حتى أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أوصى بها لما تحمله من قيمة اجتماعية بارزة، وقد مثّلت قصيدة الشنفرى نموذج بحثنا هذا والذي من خلاله تعرفنا بشكل معمّق على شخصيّة الشاعر الشنفرى وأهم المواقف في حياته كما أتينا بمقطوعة من لاميّته مصحوبةً بتحليل دقيق لها .

**1-** ابن منظور، لسان العرب، دار هادر للنشر و الطّباعة، بيروت، لبنان، ط4، ج4، ص243.

**2-** الجوهري، تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق عبد الغفور عطّار، ج4، دار العلوم للملايين، ط2، 1956، ص 159.

**3-** أسماء بوبكر، ديوان عروة بن الورد أمير الصّعاليك، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص34 .

**4-** عبد السّلام، مفضّليات أحمد شاكر، دار المعارف، مصر.

**5-** محمود حسن أبو ناجي، الشّنفرى شاعر الصّحراء الأبيّ، ص 06 .

**6-** شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف،الفصل الأوّل .

**7-** حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي ط12، 1987، المكتبة البوليسية .

**8-** دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب و النّقد، جامعة الخرطوم، 2008.

**9-** أبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت شرح ديوان عروة بن الورد، مطبعة الجزائر، ط11، 1344، ص 06 .

**10-** ديوان عروة بن الورد، دار صادر، بيروت، 1384ه/ 1964م، ص 37 .

**11-** حماسيّة ابن الشّنفرى، الطبعة الأولى، مصر، القاهرة، 1344ه/1925م، ص 72 .

**12-** أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المجلّد الثّاني، القسم الرّابع، ص 258 .

**13-** ادوارد كرنيليوس فانديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، مطبعة الهلال، مصر، 1313ه/1896م، صر334 .

**14-** ثابت بن جابر بن سفيان، ديوان تأبّط شراً وأخباره، ط1، دار الغرب الإسلامي، ص 09، 13 .

**15-** حاتم الطّائي، ديوان حاتم الطّائي، بيروت، دار صادر، 1981م، ص 09 .

**16-** يوسف خليف، الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط4، ص 274، 276 .

**17-** الأصول الفنّية في الشّعر الجاهلي، مكتبة غريب، 1997م، ص 393 .

**18–** عمرو بن مالك، ديوان الشّنفرى، ط2، دار الكتاب العربي، ص 11، 12 .

**19–** عمرو محمد الأمير مختار، لاميّة العرب للشنفرى، مقال 2012 (تحليل وتذوّق)، مجلّة شبكة الألوان .

**20–** الكامل المبرد، الجزء الأوّل، دار الفكر، بيروت، ص 183 .

**21–** محمد بديع شريف، شرح لاميّة العرب نشيد الصحراء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968م، ص 44 .

# فهرس المحتويات

**الإهداء .....**

**شكر و عرفان.....**

**المقدمة : ..... أ**

**الفصل الأول : الصعلكة و أسباب ظهورها .**

**تعريف الصَّعْلَكَة: ..... 1**

1 – 1 – التعريف اللغوي : ..... 2

1 – 2 – التعريف الاصطلاحي للصعلكة : ..... 2

**التعريف الاصطلاحي للصَّعَاليك: ..... 3**

**أسباب ظهورها : ..... 4**

**الشعراء الصعاليك " أسماؤهم و أخبارهم " : ..... 9**

عروة بن الورد: ..... 9

السُليك بن سلكه : ..... 11

تأبّط شرّاً: ..... 13

**الفصل الثاني : القيم البارزة في شعر الصعاليك .**

**الحياة الإجتماعية في شعر الصعاليك ..... 15**

ذم المجتمع في كثير من صورة : ..... 17

تكلف الحياة السائدة : ..... 18

الذاتية والبعد عن الجماعة: ..... 19

أقسام الصعاليك: ..... 20

**القيم الإجتماعية في شعر الصعاليك : ..... 21**

**الفصل الثالث : لامية الشنفرى .**

**حياة الشنفرى ونسبه: ..... 26**

**مقطوعة من لاميّة العرب للشنفرى: ..... 29**

**شرح وتحليل لاميّة العرب: ..... 31**

**الخاتمة .....**

**قائمة المصادر و المراجع .....**

**فهرس المحتويات .....**